الفصل الخامس

ثمرات الحوار في الدعوة والتربية والثقافة

المبحث الأول : ثمرة الحوار في الدعوة

المبحث الثاني : ثمرة الحوار في التربية

المبحث الثالث : ثمرة الحوار في الثقافة

obeikandl.com

الفصل الخامس

ثمرات الحوار في الدعوة والتربية والثقافة

إن الفلاح حينما ينوي زراعة أرضه، يفعل كل الوسائل للحصول على الثمرة المرجوة منها، فيضع البذرة، ويتعهدها بالرعاية، ويتولى سقياها، ويلفظ عنها كل خبيث وضار. ويستخدم من المبيدات ما يساعده لذلك، ويحرص على أن يتم ذلك في الزمان والمكان المناسبين، مع استفراغ الجهد في كل ذلك، مستعينًا بالآلات الحديثة والتقنيات المعاصرة. ثم يسأل الله تعالى بعد كل ذلك أن يوفقه لما يريد، فإن أراد الله عز وجل بزوغ الثمرة، فتراها ثمرة هنيئة مريئة، وافرة متوفرة، طيبة لا خبث فيها، فينثرها وينشرها في ربوع الأرض، فتكون خير طعام للناس، وخير أمان للدولة.

وهكذا في الحوار، فمتى استوفى مقوماته، وحصل شروطه، واكتملت آدابه، وتُخلِّى عن عوائقه، فلك أن تنتظر ثمرته. نعم ثمرته المرجوة، في كل ميدان. وإذا كانت ثمرة الأرض مادية محسوسة، فإن ثمرة الحوار معنوية غير ملموسة، لكنها أعظم أثراً، وأفضل نتيجة؛ إذ بها تكون قد توصلت إلى أطايب الفكر، ومحاسن النظم، تكون الدعوة قد أتت ثمرتها، إن كان الحوار في الدعوة، تثمر شجرة التربية. إن كان الحوار في التربية، تتحصل على عظيم الثمرة في الثقافة. إن كان الحوار بصدد الثقافة، وهذه الثلاث مما يحتاج المرء فيها إلى نوع بسط.

وعليه، وحتى نستفصل على ثمرات الحوار في هذه المجالات الثلاثة، في الدعوة والتربية والثقافة، يمكن تقسيم الفصل إلى ثلاثة مباحث كما يلي :ـ

المبحث الأول : ثمرة الحوار في الدعوة

المبحث الثاني : ثمرة الحوار في التربية

المبحث الثالث : ثمرة الحوار في الثقافة

المبحث الأول

ثمرة الحوار في الدعوة

الدعوة لفظة بسيطة، لكنها تنقل الأشخاص من الظلمات إلى النور، وكفى بهذا توضيحًا لأهميتها. ولهذا، تعتبر الدعوة جيش الإسلام الفكري، الذي يحرك به القلوب والعقول، ليأخذ بناصيتها إلى سواء السبيل.

ولهذا، ينتظم تحت لواء هذا الجيش كل مسلم، وكلٌّ بوسعه. فليس متطلبًا في عسكري الدعوة أن يأخذ فرقًا عسكرية متعددة، ولا أن يلتحق بالأكاديميات العسكرية، لكنه يكفيه أن ينشر النور الذي اكتسبه إلى الغير. فلو قال لفلان : صلِّي أو صُمْ أو زكِّ أو حج، ولو نهى فلان عن الغيبة والنميمة والسرقة والزنا، أليست هذه دعوة؟!!

وهذا لا يحتاج إلى بسط أدلة ومناقشتها ومقارعة الخصم بالحجة، وهذا من الأهمية بمكان، لاسيما وأن هذا الجيش الفكري ـ كما تقدم ـ كان المفترض أساسًا أن يؤدي دوره مع الغير، لا مع المسلم، فيدعوه إلى النور. لكن في زماننا هذا، أصبح لهذا الجيش دور بالداخل، كما له دور بالخارج.

والدعوة لا تخرج عن داعية ومدعو إليه، وموضوع الدعوة في حد ذاته.

والداعية هو من يحمل هم الإسلام، فيتمنى لو دخل الناس كلهم تحت لواء الحق أفواجًا. لذا، كان سمت الداعية الحق والتجرد والإخلاص وجميل الخلق. أما المدعو إليه، فمذاهب شتى؛ فمنهم من يحتاج إلى كلمة، ومنهم من لا يؤثر فيه دوواين، منهم من ينفعه وعظ، ومنه من قسا قلبه كالحجارة أو أشد قسوة، فلا يؤثر فيه وعظ ولا موعظة، ومنهم من يستجيب لداعي العقل، ومنهم من

يرفض القلب والعقل معًا. ولهذا، كان موضوع الدعوة مشتملاً على غير علم: العلم الديني بالدرجة الأولى، وعلوم أخرى أساسية للداعية المتخصص ـ لا الداعية العام المذكور أولاً.

وتعد هذه العلوم من الأهمية بمكان حتى يستطيع أن يسير في جنبات وأغوار المدعو إليه في حواره معه في الدعوة، فيأخذ بسويداء قلبه، برفق وحنان، إلى المراد، إلى هداية الشخص، بمراعاة نفسه ونفسيته، متغلبًا على الأمراض المستفحلة في القلوب. فهو في حواره مع المدعو إليه كالطبيب الماهر، يشخص الداء، ثم يصف الدواء، وليس أي دواء ينفع، لكنه ينتقي الدواء المناسب، ويحدد الجرعات المناسبة منه. ولا عليه أن يطعم هذا ببعض الفيتامينات التي تقوي روح وجسد المدعو إليه. بل، ويستخدم من المسكنات ما يطفئ آلام مرض القلب، ويأخذ بيده كالطفل رويداً رويداً؛ حتى يحقق هدفه، وينال ثمرته، والتي هي خير من الدنيا وما فيها. هنالك يكتسب فردًا جديداً في جيش الإسلام الفكري، لا يرضى القعود والنكوص عن خدمة جيشه، فيهبّ مسرعًا لتحقيق ذات الدور. فتكون الأمة كلها وقفـًا لله تعالى، تعمل لله، وتتحرك لله، فتزداد حرصًا وتمسكًا، وتلفظ خبثها وأدرانها. ويسير النور في زيادة لا في نقصان.

هذا هو المأمول، لكن ما الواقع؟! وكيف علاجه؟!!

الواقع أننا أمة فقيرة في الدعوة أشخاصًا ومنهجًا وموضوعًا.

أما الأشخاص، فالعوام لا ترى عندهم هذا البعد الدعوي، بل يعتقدون أننا نعيش في أزهى عصور الإسلام، وأن الإسلام بخير. وهذا عن الطائفة الذين يؤدون الطاعات ويجتنبون المحرمات، وإلا فغيرهم من العوام، وهم كثرة، لا يعلمون شيئًا عن الإسلام، فضل عنا الدعوة.

وهذا أمر يستحق الوقفة، إذ الدعاة مهما بلغوا، قد عملوا بأحباء جسام، تحتاج لجهود وأوقات أكثر، مع ندرتهم في هذا العصر، مما يحتاج الأمر معه أن تجيش الجيوش لحوار الدعوة، فلا بد من حفز العوام لهذا الأمر؛ لكي يحملوا همّ الإسلام كذلك. ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها. فكلٌّ يؤدي حواره بحسب ما لديه. هنالك يمكن أن تجد تطوراً ملحوظًا في هذا الأمر. وهذا يتحقق عندما يكون هم الإسلام مادة لكل خطبة وكل محاضرة ودرس، وبأكثر من أسلوب، وبكل السبل، حتى يتأصل هذا المفهوم لدى الناس كلهم.

وإني لأعجب أن غير المسلمين يعيشون هذه الحقيقة ، ويؤدون ويفعلون، كل في مكانه. وأصحاب الحق تائهون غافلون في أوحال الدنيا، ولا تجد عندهم من الحق إلا القليل. ولا يحملون هذا الهم إلا عاطفة بلا عمل، وعلى فترة من الزمن، ثم يصير الأمر نسيًا منسيًّا.

وهنا، لا بد من ذكر أمر آخر في هذا الصدد، وهو في هذا العصر آكد، إذ لا بد من الحديث عن الإسلام لا من منطلق الدفاع، وهذه آفة دعوية منتشرة. فهذا، مع الحرب على الإسلام في كل مكان، ولّد أثرًا عكسيًّا لدى الكثير بضعف الإسلام ووهنه، مما جعل بعض الناس يتبرأ منه أحيانًا، في الحديث عن منطق الإسلام في بعض القضايا؟!

وهذا هو المطلوب والهدف الأساسي من الغزو الفكري من غير المسلمين وإثارة الشبهات لديهم. حتى أسرَ الإسلام في ترهات لا تحتاج إلا لعالم رباني وواعظ محنك يدير الدفة ويضعها في مكانها الصحيح، فينشر الحق نشراً، ويبين عيوب الباطل وضعفه، فيعلو الحق. والعوام يحبون القوة، فيتمسكون بالحق ويدافعون عنه في حوارهم الدعوي. وهذا دور العلماء في كل مكان أن يبثوا ليل نهار إسلامهم على النحو الذي بثه الله في قرآنه. ولو تدبرت القرآن لرأيت الحجج تقطع أعناق المجادلين، فلا يجدو إلا الترهيب لإسكات الحق وأهله، فهيا إلى مأدبة القرآن لنعرف كيف يكون الحوار، من منطلق قوة الحجة، وبيان السلطان الإلهي المبين.

والدعاة، فهم قسمان: موظفون، ودعاة حقيقة وفعلاً. أما الموظفون، فقد اعتبروا الدعوة مجرد وظيفة يرتزقون منها تدر لهم الدخل لكي يقتاتوا به. وقد يكونون قد دخلوا هذا المجال على غير رغبة منهم. ولذا، ترى فيهم ذات الأداء الوظيفي في الدول المتخلفة، ضعف وهزال وروتين وتكرار وكلام جامدلا روح فيه. ناهيك عن الضعيف والموضوع من الأحاديث والاسرائيليات. وهؤلاء همهم الأكبر لقمة العيش، حيثما تأتي يسيرون وراءها. ومن هنا، ضربت الدعوة في مقتل، وأي مقتل. فالداعية المفترض أنه لا يعبأ بذهب المعز ولا بسيفه. وإنما يقول كلمة الحق لا يخشى في الله لومة لائم. ورحم الله أياماً كان العلماء يعيشون مع الفقر، ويرضون به. والمهم لديهم أن تظل راية الإسلام عالية خفاقة.

وإذا تصفحت التاريخ، وجدت كثيراً من هؤلاء العلماء الذين لم يشتروا بآيات الله ثمنًا قليلاً، ولم يبيعوا دينهم بثمن بخس. والتاريخ يحدثك نفسه عن ذلك الصنف الآخر عبر العصور، والذي استُدرج بجاه أو سلطان أو مال أو نساء أو بالأحرى الدنيا. وكانت محنة الدين العظمى من أولئك، إذ يلبسون ثوب الدين، وهم يُلبِّسون على الناس دينهم، ويكتمون الحق وهم يعلمون، حتى يختلط الحابل بالنابل، ويضيع الدين بفعل أولئك الموظفين، فما العلاج إذن؟!!

العلاج ألا يدخل أولئك أماكن الدعوة من الأساس؛ إذ لها من رجالها الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليهم، وما بدّلوا تبديلاً. ولا يهم عدد الداخلين ولا كمهم، والمهم كيفهم. أما أن يدخل هؤلاء، ولو كانوا ولو كانوا، فسترى النتيجة منافق عليم يجادل بالقرآن. وهذا الأمر رحمة به كذلك، مادام لا يقدر على أعباء الدعوة حتى لا يضل ويُضل، فيكون حسابه عسيراً يوم القيامة.

هذا من ناحية، ومن ناحَية أخرى، يجب الاهتمام بهؤلاء الدعاة، وتوفير سبل الحياة اللائقة لهم؛ حتى يتفرغوا للدعوة ويؤدون مهمتهم حق القيام بها.

وهذا واجب على كل دولة إن أرادت خدمة الإسلام بحق، ثم هناك جانب الأوقاف الإسلامية، فلا بد من إحيائها ثانية واستقلالها، وأن يعطى ريعها لأولئك الذين يفنون أعمارهم في سبيل الله. وهذا واجب على العالم الإسلامي ككل. ومن العجب حقًّا أنك تجد الداعية في بلد لديه كل الإمكانيات ولا يسخرها للدعوة، في حين أن هناك ملايين يفتقرون للحد الأدنى يسخرون كل ما لديهم لله عز وجل. وتلك مهمة من يحمل همّ الإسلام. ثم تأتي بعد ذلك مهمة الناس أجمعين، وأن يحول الإنفاق إلى هذه الوجوه، بالإضافة لوجوه الإنفاق الأخرى، وأن يعرف الناس أن هذا واجب عليهم لا صدقة ولا منة منهم، ولهم في ذلك ثواب كل عمل نتج عنه. وبذلك، يمكن أن تتحرك الدفة إلى ما هو أفضل.

أما الدعاة حقيقة وفعلاً، فهم من كانت همتهم الدعوة في ليلهم ونهارهم، في غدوهم ورواحهم، مع الصغير والكبير. لا تفتقدهم الدعوة في أوقات الشدة، ولا ينسونها أيام العسر، فكيف بأيام السعة والرخاء، هي حياتهم التي لا يستطيعون الحياة دونها. وقفوا أنفسهم لله حركة وسكنة، لا يستذلهم ذهبالمعز، ولا يرهبهم سيفه. وهم الدعوة، والدعوة هم وبهم، إذ بهم ترتقي وتصنع الأجيال بعد الأجيال. والموظفون غارقون في وظيفتهم، وهؤلاء يبنون ويبنون، وترى أثرهم عيانًا في كل مكان بين ملتزم وملتزمة، ومتدين ومتدينة. أولئك هم الدعاة، وقد تكون تلك وظيفتهم، لكن وظيفتهم تابعة للدعوة، لا الدعوة تابعة لوظيفتهم. وقد يكونوا ممن آلمهم حال أمتهم، وتخاذل أولئك الموظفين عن دورهم، فهبوا ينقذون الأمة من غفوتها، بعد علم ودراسة، فراحوا يحاورون ويتحاورون، ويقولون ويفعلون، ويحاجّون ويجادلون، حتى ذاع صيتهم، وانتشر تأثيرهم. وهؤلاء لهم من الله الثواب الأجزل، كيف وهم ينافحون عن دين الله عز ودجل، ينفون عنه تحريف المحرفين، ويبينون للناس ما يكتمه الغير، ويقولون الحق ابتغاء وجه الحق.

أما عن منهج الدعوة، فأقصد به تلكم المناهج الخاصة بالدعوة، هل هي مستوفاة؟! وهي بحق تشكل داعية؟!!

أما عن كونها مستوفاة، فهذا ما أشك فيه، فبعض الكليات، والمتخصصة في الدعوة هي التي تفصل في مناهج الدعوة، والبعض الآخر يوجد به كتاب يحتاج إلى إضافات كثيرة. ولقد اطلعت على بعض مناهج علم نفس الدعوة، فلم أجد لا علم نفس، ولا دعوة، ووجدت مجرد ترديد لمصطلحات علم النفس المعاصر، دون تأصيل شرعي متماسك للدعوة وما يتصل بها في علم النفس. وقل هذا فيما يخص الجانب المجتمعي، إذ مجرد معلومات عامة لا تشكل نموذجًا لدعوة مجتمعية، وهكذا في مواد أخرى كثيرة. رغم أن هذه الأمور في غاية الأهمية؛ إذ لا بد من دراسة نفسية وبيئية ومجتمع كل بيئة دعوية حتى تكون الدعوة على أحسن نسق ممكن وتؤتي ثمرتها.

ومن الأمور كذلك، تعلم آليات التحاور مع أهل الباطل. وهذا يمكن اكتسابه من القصص القرآني، على مدار حوار أهل الحق مع أصحاب الباطل. فيمكن تدريس الكتب الزاخرة بهذا القصص، لا الكتب الجافة، ولكن الكتب التي تبرز هذه النقطة، وتسقط ذلك على الواقع مما تطعم الداعية بالسلطان المبين والحجة القوية.

ومن تلك الأمور كذلك، ما يعرف بفنون الاتصال بالآخرين، إذ تقتصر مادة الدعوة على الآداب التي يتحلى بها الداعية. لكن ثمة أمور أكثر دقة وتفصيلاً في هذا المجال، ويجب تأصيلها شرعًا، والأخذ من المنبع الأصيل لدينا من الكتاب والسنة، لماذا هذا كله؟!! لأنني وجدت كثيرًا من الدعاة يتخبطون يمنة ويسرة، ويجعلون الناس حقل تجارب لدعوتهم، حتى أصبح الصدام والتنافر محل كثير من حوارات الدعوة، لاسيما أن في قلوب كثير خير يحتاج لإبرازه، وأناس آخرون اعتمدوا على المجاراة والمجادلة والجدل يلعبون بالدعاة كيفما يشاءون، وتجد الداعية واقفًا صفر اليدين رغم ما لديه من علم.

أما عن موضوع الدعوة، فالقصد المادة العلمية التي تقدم للمدعو إليه. وفي هذا، لا بد من وجود ما يسمى بفقه الدعوة، إذ حتى يتم الشفاء لابد من توصيف الداء صحيحًا، وأخذ العلاج بجرعاته المناسبة كمًّا وكيفًا، زمانًا

ومكاناً. وكم من الدعاة يملكون العلم الصحيح النافع، ولكنهم افتقدوا لفقه الدعوة، متى يتكلم؟!! ولماذا؟!!

وليس في كل مكان ينفع التكلم؟!!

فهذه كلها من عوامل الخسارة الكبيرة التي تؤدي إليها حوارات الدعوة المعاصرة، مع الوضع في الاعتبار كم من مجهود بذل للوصول إلى هذه الحوارات. ثم يأتي انعدام الفقه الدعوي سبباً في تضييع الأمر برمته، وإلى الله المشتكى.

وبمراعاة الأمور السابقة وغيرها في حوارات الدعوة، سواء تلك المتعلقة بأشخاص الدعوة أو بمنهجها أو بموضوعها، فإنه يمكن القول إن الدعوة تسير في طريقها الصحيح، عسى أن تؤتي ثمرتها المرجوة إن عاجلاً أو آجلاً بإذن الله تعالى.

openkandil.com

المبحث الثانى

ثمرة الحوار فى التربية

التربية بداية كل نجاح، وإهدارها سبب كل فشل. وإذا استقرأت أفعال الناس قاطبة لا يسعك إلا أن تقول إلا إن هناك خللاً في التربية، بداية من الفرد ومروراً بالأسرة وانتهاءً بالمجتمع كله.

ومحاضن التربية الأسرة والمدرسة والمجتمع. ولقد ابتليت هذه المحاضن كلها بما أوجد شرخًا واسعًا في التربية، فهل يصلح الحوار ويضيق من هذا الشرح فضلاً عن أن يمنعه؟!!

إن التربية تستوجب شخصين: شخص يربِّي وآخر يُربَّى، وبينهما حوار التربية. والحوار في التربية ركن لصيق بها، لطالما افتقده الكثيرون، واستخدموا وسائل القسوة البالغة أو التفريط المدلل، حتى صار عندنا كمّ من المعقدين نفسيًّا، والمهلهلين فكريًّا. لكن حواراً في التربية إذا أقيم على المعيار الصحيح، فستنتج شخصًا متكامل الأركان، متوازنًا نفسيًّا، يؤدي دوره دينًا ودنيا على خير وجه.

والغريب في الأمر أن الآباء يعاملون أولادهم كالأنعام، إذ كل همهم البحث عما يطعمهم ويسقيهم، فأين الجوانب الأخرى، وعلى رأسها الجانب الديني. والثمرة المرجوة من حوار التربية لا تعدو أن تكون صلاح الفرد والمجتمع، لكن كيف هذا، وما السبيل إليه؟!!

ما السبيل إليه في وقت لا يحتكر الآباء تربية أبنائهم، بل يربيهم الشارع وأشخاصه، وما أدراك ما أشخاصه، والمدرس الذي فقد الكثير من معاني التربية، والتلفاز والقنوات الفضائية، . . . كيف السبيل؟!!

إن المسألة جد صعبة، ويزيد من صعوبتها اختلال المنظومة القيمية، وإعلاء المادية البغيضة، وتهلهل الحق ومعانيه في نفوس الناس، وفشو الباطل وعلو أصحابه وانتفاشهم بين الناس، وعدم اكتراث الناس بالدين، بل هو في

المؤخرة، إن وضعه البعض في اعتباره أساسًا!! بل، وأمراضنا نحن الكثيرة والمتأصلة فينا، كيف السبيل؟!!

إنه طلب العون من الله، والمدد منه سبحانه وتعالى، والابتهال والتضرع إليه، ودعائه والتوسل إليه أن يلهم العبد الهدى والسداد في كل شئونه، وإن تصدق الله يصدقك.

أما بشأن الأسرة، فجناحاها الأب والأم. فإن ظفرت بذات الدين، وإن حازت ذا الخلق والدين، فانتظر ثمة حوار التربية، لكن اهتمامًا بالمال أو الجمال أو النسب أو الجاه وغير ذلك من زواج المصالح، فنهايته قريبة، وإن ظلا متزوجين على مضض. وإذا كان هذا حالهما، فكيف بأولادهما؟! وحدِّث عن الحوار في هذا الصدد؟!!

فإن أبيت إلا هذه المعاني الزائلة، فلا تلومنّ إلا نفسك، إذ يكون الزواج حينئذ ليس إلا سجنًا صنعته بيديك. وكم كثرت حالات الطلاق بين المتزوجين حديثًا، ولابد من وقفة لهذا، إلا أنه لا مُعتبر.

فإن استقام الجناحان على منهج الله، فترى مراعاة الله في الصغير والكبير، وحدّث عن حوار التربية!!

حوار طاهر ينمي الفكر والروح، ويبذر بذور المجاهدين، ويفتح السبل لأناس راشدين.

حوار يجد القدوة فيه قبل القول، والسلوك قبل العمل، وأحسن بذلك من تربية!! وأحسن به من حوار للتربية!!

وإذا تشرّب الولد سلوك أبيه الملتزم وأمه المتدينة، فمهما عصفت به الأعاصير، فسيعود إلى الحق.

لكن هناك حوارًا آخر، على العكس مما تقدم، حوارًا ينظر فيه الابن إلى الأب نظرة الريبة. . فهو يسمع أقوالاً، ويرى نقيضها. يستمع للنصائح تلو النصائح، ويرى غير ذلك على أرض الواقع، فكيف يثمر هذا الحوار؟!!

وحوار ثالث تحكمه لغة البطش والتنكيل، السمع والطاعة بلا مناقشة أو تفكير، التجبر والجبروت. فملخص الحوار (افعل وإلا)، وما فيه من لغة الحوار من شيء؟! إنه مثال لسوء التربية، مثال يتعامل فيه الأب كالفرعون

الطاغوت، فيربي ابنه على العبودية. يربي ابنه على الذل والخضوع، ويربي الابن فيه على الخوف والخنوع، تنعدم فيه حرية الإرادة والتفكير، فيصير الابن معدوم الشخصية، مقهور الإرادة، فكيف له أن يتحرر من سلطان الخوف والضعف؟ وأنى له أن يحرر غيره؟!!

وحوار أخير يطلق فيه العنان للابن أن يفعل ما يشاء، وقت شاء، بلا تدبر ولا مراجعة، ولا تفكر ولا محادثة، سبحان الله!!

وهل هذا من التربية؟!! وأين أنت من حوار التربية!!

الحوار الذي فيه الأسوة والقدوة، والإقناع والاقتناع، وبذر بذور الحب والمحبة، والبر والخير، والتعود على الصدق والصراحة، والرجولة والشجاعة، حتى نرى ثمرة ذلك في رهبان الليل، وفرسان النهار.

فإن انطلق الولد بعد ذلك إلى المدرسة، فيكون شخصًا محصنًا من الداخل، لكن!! وما أدراك ما لكن هنا؟!!

فقد كانت المدرسة منبراً للتربية ومحطة للتعليم، يتربى فيها الفرد على كمال التربية والفكر، وينشأ على أعالى الأخلاق ومكارمها. وإذا سألت أحدًا من العلماء كيف وصل إلى ما وصل إليه؟! سيجيبك: لقد تأثرت بأستاذي كذا، وأستاذي كذا، لكننا اليوم نخشى على أولادنا من المدارس، إذ لم يعد فيها تربية، ناهيك عن التعليم، وتلكم مشكلة أخرى.

ومن هذا المنطلق، لا بد من عودة أخرى إلى صحيح الأخلاق، وانتفاء المربين لأولادنا. لقد أصبحنا نسمع الأعاجيب مما يحدث في المدارس. إن مدارس كهذه تشكل مستودعًا لسوء الأخلاق لا لحسنها. كيف يتأتى أن يولد هنا حوار للتربية صحيح يؤتي ثمرته، وفاقد الشيء لا يعطيه. وهذا دور الدولة والمجتمع وكل من بيده الأمر من إعلاء للمنظومة القيمية، واختيار المدرسين على أساسها؛ حتى لا يصير الأمر من حصيلة التعليم إلا مجرد ورقة، بل وقد لا تسمن ولا تغني من جوع، نتيجة لانقلاب الأوضاع المعاصرة.

إن الأمر جد خطير، ولا بد لكل مسلم أن يتفهم هذا. إن أمن الأمة القومي هو أخلاقها. فإذا انفرط أساسها في التربية، فحدّث عن ضياع الأمم. وها نحن

الجني من وراء ذلك الكثير، فما بالك بالأجيال القادمة؟! إن حوار التربية الذي ننشده لن يوجد بالتمني ولا بالأماني. وصلاح الفرد والأمة لن يتأتى إلا بالبنيان التربوي مع البنيان العقدي.

وثمة مخرج عملي في هذا الصدد، وهو ما كان يفعله عرب الجاهلية، إذ كانوا يبعثون أبناءهم في البوادي لدى الأعراب حتى يكونوا رجالاً بمعنى الكلمة. تتحقق فيهم معاني الرجولة منذ الصبا، ولذا تسمع عن بطولات وبطولات الصحابة، في سن لو جمعت الملايين منّا ما سدّ مسدهم. وهو ما كان يفعله في العقود الماضية الآباء، ولا زال في بعض الدول، وهو إرسال أولادهم إلى الكتاتيب كيما يشربوا من خلق القرآن، ويتعلموا من أخلاق مُعلمهم، ويتربوا على السير والغزوات حتى تنغرس فيهم معاني الرجولة. وهذا يخفف من الوطأة الكثير، وهذا يكون في كل العام، لا في أشهر الإجازة الصيفية، ولا في سنوات الصغر فقط، بل حتى يشب ويستوي عوده، فيكون في البيت حوار صحيح للتربية، يكمله في المسجد حوار طاهر للتربية.

أما بالنسبة للمجتمع، فما قيل سابقًا يقال هنا من إعادة بث المنظومة القيمية، والتوجيه صوب مساجد الله؛ حتى ينشأ حوار التربية، وحتى لا يضيع هذا المجهود وسط بيئة فاسدة تؤثر في الطفل ويتأثر بها.

والحاصل من كل ذلك أن للحوار في التربية دوراً عظيمًا؛ إذ به تتأثر حسن التربية، والتي يتبع حسن البذرة للفرد، ومتى بذرت بذور الخير في الفرد، فانتظر كل الخير منه، وله، وللمجتمع بأسره.

المبحث الثالث

دور الحوار في الثقافة

الثقافة غذاء العقول، كما أن الطعام غذاء الأبدان. ومن الناس من يهتم بغذاء الأبدان ويقدمه على غذاء العقول. ومنهم من يقدم غذاء العقول على غذاء الأبدان، وهم قلة في الأزمنة المعاصرة، ومنهم من لا يعرف عن غذاء العقول شيئًا، جاعلاً كل همه في غذاء الأبدان، ومن الناس من يضطر إلى هذا اضطراراً، وهم كثير.

ولا يظن ظانّ أن المقصود من الثقافة وريقات التعليم التي يتلقاها الفرد إبان تعليمه حتى يتخرج، أو مفاسد الفكر التي امتلأت بها وسائل الإعلام كافة. فكل هذا ينبئك عن ضمور ثقافي للأمة، وآية هذا، اعقد حواراً مع آخر في أي لون من ألوان الثقافة، فتجده من الصم البكم العمي، وإذا كان لا يعرف دينه من الأساس، فكيف يرتقي لمعرفة الثقافة؟!!

والأنكى من هذا والأضل سبيلاً أن تقدم سفاسف الأمور المخالفة للشرع، بزعم أنها من مواد التنوير والثقافة. وتبسط لعوام المسلمين بغير وسيلة، حتى يشربوها شرباً، فيحدث مسخ فكري مشوه، ونسخ لعقول المسلمين على أي نحو بخلاف منحى ربهم.

أقصد مما تقدم أنه لا توجد ثقافة حتى يوجد حوار في الثقافة، فالمادة المزعوم أنها من الثقافة ليست من الثقافة في شيء، بل منها ما هو خبيث مستقذر، يجب الطهارة والتطهر منه، كما يجب التطهر من النجاسات.

والأشخاص المزعوم جلهم أنهم مثقفون هم متسولون فكريًّا، ومن الضحالة الفكرية بمكان.

وزاد الأمر حينما أصبح دين الله عز وجل مادة للطعن والسخرية والاستهزاء وغير ذلك، وبالهمز واللمز، وبالأسلوب غير المباشر بزعم حرية الإبداع والثقافة.

فمن أين يأتي حوار الثقافة إذن؟!!

إننا بلا شك في أوحال ومستنقعات فكرية تحتاج لعمليات تطهير كلي شامل.

أضف إلى ذلك، أن ألوان الثقافة المقدمة، مقدمة بالفكر المادي، والذي لا يعرف للكون إلهًا، ولا للشخص دينًا، وهي مطعمة بكل شيء إلا الإلهيات، فهل هذه ثقافة؟!!

وحتى في العلوم الطبيعية، نراها تقدم من غير أصولها الشرعية، فتفتقد حيويتها وروحها، إلا من بضع علماء يضعون النقط فوق الحروف، ويردون الأمور إلى أصلها.

والحاصل مما تقدم، وحتى يتأتى الحوار في الثقافة، لا بد من وجود رجال يقدمون الثقافة الأصيلة الخصبة، والتي لا تتعارض مع الوحي الإلهي، ويقفون أمام هذا التيار المستغرب، والذي ضلَّ وأضلَّ، وفتك بالأمة فتكًا، حتى انسلخت من أصلها وأصبحت تابعة متسولة لحثالة أفكار البشر، والتي تثبت الأيام، يومًا بعد يوم، فسادها وإتلافها للعقول. وقد رفعت لها الرايات، وسبكت لها الشعارات، لكنها وطئت بالأقدام في عصور تالية. وهكذا، حتى كتب على العالم أن يكون حقل تجارب على مر العصور لأفكار أفراد مجردة من الوحي الإلهي، وإذا تجرد الفرد من الوحي الإلهي، فبم يهرف؟! وكم فسد وأفسد؟!!

وكم فقدت فيها الإنسانية نفسها، وهي لا تدري!!!

هنالك، حيث تتكون تلك المادة، والتي تعد معينًا خصبًا للثقافة، تجد حوار الثقافة، الحوار الذي به الغناء والكفاء، الحوار الذي ترتفع به عن الماديات، الحوار الذي يثمر ويغني العقول، الحوار الذي به يسكن الفؤاد والقلب، الحوار الذي يوصلك إلى صحيح الثقافة، الحوار الذي به العلو والسمو، الحوار الذي ينتهي بك إلى معرفة نفسك، وشكر وحمد ربك، والعمل لآخرتك، الحوار النافع المفيد. هذا هو الحوار الذي به يتثقف الفرد والمجتمع، ويكون فيه مزيد من العلم والخبرة، والفقه والدربة، لمختلف مجالات الحياة.